تصور التلاميذ للعقاب البدني داخل المؤسسة التربوية

دراسة ميدانية لإكماليه غمري حسين – بسكرة

د. بوزغاية باية
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

الملخص:
إن موضوع العقاب البدني يستدعي نقاش مختلف الفاعلين في الحقل التربوي، وعلى جميع الاصعدة، فتحاول هذه الدراسة رصد التصور الذي يحمله التلاميذ حول ظاهرة العقاب البدني في المدرسة، ومعرفة نتائج العقاب المسلط عليهم في المدرسة، ودرجة الآثار النفسية والجسدية التي يخلفها عليهم.
الكلمات المفتاحية : العقاب، العقاب البدني ، الثواب، المعلم والتلميذ.

Résumé:
Le thème de châtiment corporel nécessite différents acteurs dans le domaine de l'éducation, à tous les niveaux, cette étude tente de suivre concevoir qui détient les étudiants sur le phénomène des châtiments corporels à l'école, et de connaître les résultats de la punition infligée sur eux à l'école, et le degré d'effets psychologiques et physiques d'entre eux.

Les mots clés :La répression, les châtiments corporels, la récompense, l'enseignant et l'élève.

مقدمة :

تعتبر تربية الأبناء في هذا الوقت من أعقد المشكلات التي تواجه الآباء والأمهات ورجال التربية والتعليم وعلماء النفس وعلماء الاجتماع، وديننا الإسلامي الحنيف يحث الآباء والأمهات على تنشئة الأبناء تنشئة حسنة، بتربية صحيحة توافق العرف والشرع، ولا يتحقق ذلك إلا بتضافر الجهود بين الأسرة والمدرسة والمجتمع، فالتربية لا تعني الضرب والشدَة والتحقير والحرمان كما يظن البعض، وإنما مساعدة الناشئ للوصول إلى أقصى كمال ممكن ، فالتوبيخ العادي الخفيف ولهجة الصوت القاسي يحدثان في الطفل التأثير الذي يحدثه العقاب الجسمي الشديد.

وعلى الرغم من التعميمات الصريحة بعدم استخدام الضرب أو الإيذاء البدني بأي شكل من الأشكال مع طلاب المدارس في كل مراحل التعليم، إلا أن الصحف والمواقع الالكترونية تطالعنا بين حين وآخر بحوادث ضرب وإيذاء يتعرض لها طلاب وطالبات في مراحل التعليم المختلفة، فيتمادى بعض المعلمين في إيقاع العقوبات على طلابهم، ولا يكتفون بإيقاع الأذى البدني عليهم، وإنما يلحقونه بأذى معنوي أيضا، من المفترض أن ينأوا عنه بصفتهم الرجال المسؤولين عن التعليم والتربية، وأكثر الناس معرفة بتأثير مثل هذه الأنواع من العقاب.

إن العقاب مرفوض؛ لأنه هو الخطوة الأولى والأوسع انتشاراً في الوطن العربي، فهو يزرع بذور الخضوع والخوف في نفوس الأجيال، فالمدرسة كبقية مؤسسات المجتمع الرسمية والمدنية في شكل بنيتها الهرمية وفي مراسيم التعامل من أعلى إلى أسفل، وبالعكس تعكس هرمية السلطة في المجتمع، والعقاب البدني لا يؤسس لشخصية ذات مكونات فكرية مميزة، تؤمن بإسلاميتها، وتحب الحق والعدل، كما أن العقاب يؤسس في ضحيته خبرات تؤثر في سلوكه الاجتماعي والشخصي بعد ترك المدرسة، فالضحية (الطالب أو التلميذ) قد يؤمن بالعقاب كأسلوب ضروري

للضبط والتصحيح، فكما عوملنا نعامل، وقد تتبلور لديه نزعات معاقبة الآخرين لا لشيء إلا لتصفية الحساب مع الماضي في نفسه، أو تتولد لديه مشاعر الكآبة أو الهروبية أو العدوان، و لهذا كله لماذا نستخدم العقاب في المدرسة؟

إن موضوع العقاب في التربية طُرح للنقاش من طرف مختلف الفاعلين في الحقل التربوي، على المستويين الوطني والعالمي منذ عقود، كما اهتم به المفكرون في الحضارات السابقة، الإسلامية واليونانية وغيرها، فيما نسميه بالأدبيات التربوية، إلا أنه رغم ذلك مازال يحتفظ بأهميته وراهنيته للأسباب التالية:

1 ــ مازال العقاب البدني واللفظي سائدا في مؤسساتنا التربوية باختلاف مستوياتها الأساسية والاكمالية وغيرها.

2 ــ ظاهرة العنف (المرتبطة بالعقاب) لا يخلو منها أي بلد في العالم، وقد بلغت درجات قصوى في بعض البلدان الغربية تمثلت في إطلاق النار على التلاميذ والمدرسين...

3 ــ كنا قبل العقد الأخير نستنكر ظاهرة انتشار صور العنف في الأفلام والرسوم المتحركة التي يشاهدها الأطفال، فأصبحنا اليوم نُقذف بآلاف صور العنف والتقتيل الحية والواقعية والمبثوثة مباشرة أحيانا عن أطفال ونساء وشيوخ يُقتلون ويُقطعون أشلاء.

فموضوع العنف والعقاب إذن، جدير بأن يحتل صدارة نقاشاتنا، وما دمنا نعمل بالمجال التعليمي و التربوي، سنقتصر على تحليل البعد التربوي والاجتماعي لهذه الظاهرة، لابد من الإشارة – في البداية- إلى بعض الصعوبات التي تعترض كل من يريد دراسة هذا الموضوع دراسة علمية موضوعية، فلا الاستمارات ولا الاستبيانات ولا الاستجوابات كافية لجمع معطيات جاهزة عنه، لأنه يتعلق بموضوع "محرم"، يصعب الإدلاء بالرأي الصريح حوله، كما يصعب على الباحث أن يستطلع رأي التلميذ أو موقفه منه، أو أن يعرف حقيقة ما يتعرض له من عقوبات، لأن الباحث يظل بالنسبة للطفل أو التلميذ شخصاً غريبا وممثلا في نفس الوقت لسلطة الراشد...، وحتى استجواب الآباء واستطلاع آرائهم حول هذا الموضوع يخضع لمؤثرات ذاتية قد تُضخِّم منه نظرا للروابط العاطفية بين الآباء وأبنائهم، أو عكس ذلك قد تستهونه إذا كان الأب سلطويا في تعامله مع أبنائه .

1- تعريف العقاب البدني: ثمة جدل طويل بين مؤيد ومعارض، حول جدوى الضرب في التعليم، وسواء كنا من المؤيدين للضرب او المعارضين، فالكل يتفق على أن في التعليم لابد من الثواب «التعزيز» والعقاب لتوجيه الطلاب نحو السلوكيات المرغوبة ومنع السلوك الشاذ.

ويعرفه **سكنر Skinner** العقاب::"بأنه كل أنواع العقاب اللفظي والاجتماعي والجسدي التي تلي السلوك الاجرامي،وتعمل على إضعاف ظهور ذلك السلوك الإجرامي".(جلال كايد ضمرة، 2007،ص141).

ويعرفه **ثورندايك**:"...كل فعل ما يؤدي إلى الشعور بعدم الرضا وعدم الارتياح مثل التأنيب والزجر والقسوة وكذلك الحرمان والضرب الذي يعتبر من أهم وسائل العقاب".(سعيدة صالحي، 2003،ص28) .

ويعرف **عبد المجيد نشواتي** العقاب :"بأنه الحادث أو المثير الذي يؤدي إلى إضعاف أو كف بعض الأنماط السلوكية، ذلك إما بتطبيق مثيرات منفرد غير مرغوب فيها على هذه الأنماط، أو بحذف مثيرات مرغوب فيها من السياق السلوكي، بحيث ينزع السلوك موضع الاهتمام إلى الزوال."(محمد حسن العمايرة، 2002،ص34) .

ويأخذ العقاب أنواعا متعددة ومختلفة منها العقاب البدني أو الجسمي، والعقاب المعنوي، والعقاب الاجتماعي، سنقف عند بعض تعاريف العقاب البدني والذي يعد شكلا من أشكال العقاب النبي كانت وما زالت تستخدمه الأسرة والمدرسة والمجتمع بشكل عام، ويعرف على أنه "استخدام الألم الجسدي لحمل العضوية على الإقلاع عن القيام بسلوك معين"(محمد وليد البطش، 1991،ص28)، وهو تقديم مثير مؤلم غير مرغوب أو سحب مثير ايجابي مرغوب فيه وذلك من اجل تعديل سلوك الفرد بتقليل هذا السلوك أوحذفه، ولكن لا يحبذ استخدام هذا الأسلوب إلا بعد استعمال

عدة طرق في التعزيز حتى نصل إلى الامحاء لهذه السلوكيات غير المرغوب فيها، وإذا لم نصل قد نستخدم العقاب.(محمد عبداللطيف العتيق، موقع)

ويرى آخرون بأن العقاب يمثل في الحدث الذي يعقب حدوث الاستجابة والذي يؤدي إلى إضعاف الاستجابة التي تعقب ظهور العقوبة أو التوقف عن هذه الاستجابة، وينقسم حسب رأيهم العقاب إلى قسمين هما: (عزيز بوستّا، موقع)

⇐ **العقاب الايجابي:** ويتمثل في ظهور حدث منفر (مؤلم) للفرد بعد استجابة ما يؤدي إلى إضعاف هذه الاستجابة أو توقيفها ومن أمثلة ذلك العقاب البدني والتوبيخ بعد قيام الفرد بسلوك غير مرغوب إذا كان ذلك يؤدي إلى نقص السلوك أو توقفه،ومثلا العقاب داخل المؤسسة التربوية يفقد التلميذ شخصيته، ويوجد في نفسه كراهية التعلم، ويوجد فيه روح التمرد والغضب، ويعتاد القسوة والخشونة فإذا شب وكبر ألفت نفسه هذه الخشونة فيعامل بها الآخرين، لأن العنف يولِّد العنف ويوجد العدوانية بين التلاميذ.

⇐ **العقاب السلبي:** وهو استبعاد حدث سار للفرد يعقب أي استجابة مما يؤدي إلى إضعافها أو اختفائها مثال:حرمان الأبناء من مشاهدة بعض برامج التلفاز وتوجيههم لمذاكرة دروسهم وحل وجباتهم، فان هذا الإجراء يعمل على تقليل السلوك غير المرغوب وهو عدم الاستذكار، ولكنه يحرمهم من البرامج المحببة لديهم يسمى عقابا سلبيا، ويفضل المرشدون والمعالجون النفسيون أسلوب العقاب السلبي في معالجة الكثير من الحالات التي يتعاملون بها.

2- النظرة الإسلامية للعقاب: يدعو الإسلام إلى تكريم الإنسان ورفع مكانته، وصون حقوقه، ودعم الخير الذي هو أصيل فيه، ونزع الشر الذي هو طارئ عليه، كما يدعو إلى بناء المجتمع القوي على أسس الحق والتقوى والفضيلة والخير، ولكن الأفراد ليسوا بمعزل دائما عن العقوبة والشر رغم كل الوسائل الوقائية التي شرعها الإسلام، لذلك يجنح بعضهم نحو الخطيئة والعدوان، لذا لابد من وجود وسائل عديدة للعلاج كالعقاب الذي يهدف إلى إحلال الأمن، ورعاية المصلحة العامة، وصيانة الفرد والمجتمع، ويراعي ظروف الجاني، ويأخذ في الاعتبار النية، ويعدُ المسؤولية هي أساس العقاب، وتتكون الأحكام الإجرائية الإسلامية التي على أفعال الإنسان وسلوكه من الثواب بنوعيه العاجل والآجل، والعقاب بنوعيه العاجل والاجل، والعقاب العاجل هو العقاب الذي توقعه الدولة على الأفراد الذين يخافون الالتزام الخلقي في القرآن الكريم كالتغزيز والقصاص والحدود، والهدف منه هو حماية الفرد وماله، والقضاء على الفساد، أما العنف الإلهي الآجل فهو هائل ومتنوع، جوهره خلود الفرد في النار(زايد عجير الحائري، 1991)

3- نظريات العقاب:

أ/ نظرية العقوبة الجزائية: تعدُ هذه النظرية العقاب نوعا من الثمن الذي يجب أن يدفعه الشريرون الذي يلحقون الأذى بالآخرين، وتنظر هذه النظرية إلى العقاب على أنه غاية(عبد الراضي ابراهيم، 1988) ويمتدح **ماكنزي** هذه النظرية لأنها كما يقول تدعو إلى أخذ المجرم بجريرته فيعاقب، ولا يتفق مع الآراء القائلة بأنها تقوم على الانتقام(عبد المنعم بني عواد، 1994) ويختلف مع **بيترز** الذي يعدُها نظرية لا إنسانية تذكرها بالأمم الهمجية (عبد الراضي ابراهيم،مرجع سابق). فهي تبتعد كل البعد عن تفهم المواقف الإنسانية والظروف التي تم القيام بالجنحة أو الانحراف،ومن ثمة فهي تؤمن بمبدأ واحد وهو أن كل سلوك منحرف شائن يقابله تطبيق ألي للجزاء والعقوبة.

ب/ النظرية الرادعة: تنظر هذه النظرية إلى إنزال العقاب بالمسيء كنوع من العبرة للآخرين قد تدفعهم إلى أن لا يفكروا في ارتكاب ما ارتكب من أجل صيانة المجتمع، ويرى **جيرمي نيثام** أن العقوبة الرادعة إذا أدت إلى منع الشر عن الجماعة فهي إيجابية (عبد الراضي ابراهيم،مرجع سابق)، فالعقاب هنا هو وسيلة لردع الآخرين من ارتكاب الذنوب والوقوع في الآثام، وهي نوع من العظة للناس لإبعادهم عن الشر، والغرض من العقاب هو منع

غير المذنب من ارتكاب الذنب(زايد عجير الحارثي،مرجع سابق)، فالتلاميذ الذين يخضعون لمجالس التأديب ويطردون لوقت محدد من الدراسة يعتبرون أصدق مثال لزملائهم حتى يلتزموا بالنظام والانضباط، ويتركوا العبث والقيام بسلوكات تخالف النظام وتعرقل العملية التعليمية.

إن الذين يؤيدون استخدام العقاب البدني يرون أن منع العقاب البدني يضر بالعملية التربوية لأنه يزيد من المشكلات السلوكية، ويشجع على نشر مظاهر العدوان، ويسهم في اضعاف ضبط النظام داخل الصف الدراسي، ويعمل على تدهور مستوى التحصيل(محمد مصطفى أبو عليا،1992)، ويعتقدون بأن العقاب يمثل وسيلة لإسراع لتغيير السلوك(Feldman,1996)، وأنه يعلم الطلبة أنه لا يمكنهم مخالفة القوانين وخرق النظام دون محاسبة(Biehler, & Snowman, 1986)، كما أنه سهل التطبيق ويعطي نتائج سريعة، وبالاضافة إلى ذلك فإنه يتميز بالوضوح، ففي المدارس التي تطبق العقاب يعرف الطالب بشكل جلي نتائج سوء سلوكه(Vockell, 1991)، ويساعد الفرد على التمييز بين ما هو مقبول وما هو مرفوض(عبد المنعم بني عواد،مرجع سابق).

ج/ النظرية الاصلاحية: هي نظرية مربية تهدف إلى استخدام العقوبة من أجل هدف خلقي هو إصلاح المذنب، أو إعادة بناء تربيته، وتطهيره من ميله للانحراف والفساد، ولا تنظر هذه النظرية إلى العقاب كانتقام، بل يكون مطلوبا للضرورة و له ما يبرره إذا كان سيصلح من شأن المخطئ ويمنعه من تكرار أخطائه والسلوكات غير المرغوبة(احمد منير مرسي، ص126-127)، لذا فعلى المعلم أن يكون على دراية كاملة بأن هناك فروقا فردية بين التلاميذ، ومن ثمة يبني تفاعله على هذا الأساس.كما يراعي كل الخصائص النفسية والاجتماعية للتلميذ.

د/ النظرية الوقائية: ترى هذه النظرية إن الهدف من معاقبة البعض هو حماية الآخرين، ويتمثل مضمونها في "أن المعلم يقوم بمعاقبة التلميذ الذي يثير الشغب لكي يحمي زملاءه منه، ولا يزعج الآخرين، ومن مؤيدي هذا الاتجاه **واطسن Watson** و **ميتسوري Mitsuri** التي رأت أنه إذا كان الضرر لا يزول إلا بإخراج من يعبث بالنظام من حجرة الدراسة فيمكن عزله وإخراجه كعقاب له(عبد المنعم بني عواد،مرجع سابق).

وتمنع المدارس وبشكل مطلق أي نوع من العقاب البدني في كثير من الدول الاوروبية والأمريكية، أما في الجزائر فنجد القرار الوزاري رقم 2/172 المؤرخ في 1 جوان 1992 يمنع بصفة مطلقة استعمال العقاب الجسمي والعنف وكل ما من شأنه أن بلحق ضرارا ماديا أو معنويا بالتلاميذ، فقد ورد في المادة 06 من هذا القرار مايلي:"علاوة على كون العقاب البدني أسلوب غير تربوي في تهذيب سلوكات التلاميذ، فإنه يعتبر خطأ مهنيا يعرض الموظف الفاعل إلى اجراءات التأديبية المنصوص عليها في القوانين الأساسية السارية المفعول.(محمد بن حمودة، 2008 ،ص88)

ومعظم المدارس التي تسمح به تطلب أن يتم إحضار معلم آخر أو إداري وبحضور ولي الأمر أو يتم العقاب على يد إداري ،إن العقاب البدني يُحرج طلاباً معينين ويكون أحيانا فعالا في استبعاد السلوك غير المرغوب فيه، ومع ذلك فان العقاب البدني له مساوئ ، فقد ينفر أولياء الأمور وقد يؤدي إلى الهجوم على المعلم في محاولة الطالب الدفاع عن نفسه ، ونجده يسبب كراهية وعداء و يسبب ضرراً و إصابة أو إعاقة للطالب ،وفي كثير من الدول يعتبر العقاب البدني ضد القانون.

4-مظاهر و صور العقاب البدني: إن ظاهرة العقاب البدني مازالت منتشرة في مجتمعاتنا وحتى في مؤسساتنا التربوية، وتأخذ عدة صور و مظاهر منها:

1- العقاب البدني المادي فيشمل الضرب بأدوات معينة كالعصي والحبال والمساطر وغيرها، أو باللطم والصفع والقرص...

2- العقاب البدني المعنوي كاللوم والتأنيب و يتم بدون استخدام أدوات: كإيقاف التلميذ خلف الباب، أو في مواجهة الحائط الخلفي للقسم مع رفع إحدى رجليه أو دون رفعها لمدد متفاوتة.

3- العقاب اللفظي المتمثل في كل اشكال التهديدات اللفظية والتوبيخ، واستخدام العبارات الجارحة، والسخرية، واشارات التهكم...(فاروق الروسان، 2000، ص147) .

4- العقاب بالإهمال وعدم إعارة أي اهتمام لما يقوم به الطفل من أعمال ونشاطات تربوية وتعلّمية...

5- العقاب بالتنقيط (نقطة الصفر، النقطة الموجبة للرسوب).

6 – العقوبات الكتابية بالواجبات والفروض، كإرغام الطفل على كتابة كلمة أو جملة أو فقرة عشرات أو مئات المرات، وهي تجعل التلميذ يشعر بالارهاق والتعب .

7 – العقاب الاجتماعي فهو شكل من أشكال الحرمان والعزل الاجتماعي، كالابتعاد ونقل التلميذ إلى بيئة اخرى(عمر عبد الرحيم نصر الله ، 2004، ص449)

وفي هذا الإطار يصف أحد المهتمين التربويين بأن: العقاب البدني وسيلة سهلة، ويرى أن تطبيقها لا يحتاج إلى تفكير وبذل أي جهد، ويقول "المشكلة تكمن في أنه يمكن معاقبة أي إنسان بدنياً، ولكن طرق التربية الحديثة المقرة من الوزارة، تمنع العقاب البدني منعا باتاً، وتريد من المعلم أن يفكر في حل المشاكل التي قد تواجهه في الصف، خاصة مع الطلاب"، مؤكداً أن العقاب البدني موجود بصورة محدودة، ولا يشكّل ظاهرة، إلا أن له تأثيرات سلبية على شخصية التلميذ منها شعوره بالمهانة، وضعف التحصيل العلمي، وكراهية العملية التعليمية والمدرسة ، وقد اعتبرت دراسة حديثة أن اعتماد العنف في تأديب الولد من شأنه أن يسكته إلى حين ولكنه لا يحل المشكلة ولا يعدّل السلوك، بل على العكس يعلّمه كيف يقلّد العنف في تعامله مع الآخرين، ويشعره بالظلم ويدعوه إلى الثأر والانتقام، ويجعله يحمل الحقد الذي يتفاعل مع ذاته ليفجّره في ما حوله، وتكمن المشكلة في أن عملية التأديب تبتكر وسائل سريعة لانحرافات تتطلب دراسةً وصبراً وحكمةً ومرونة. (سهيلة كاظم الفتلاوي، 2005،ص312).

5- الجمع بين الثواب والعقاب فى العملية التربوية: ففي إطار التوجيه التربوي الإسلامي ، ينبغي الجمع بين الترغيب والترهيب ،فهما متلازمان يكمل بعضهما الآخر ذلك " أن الترغيب معناه الأمل فى وعد الله والرجاء فى نعمه تعالى ، فكلما عملت النفس عملا خيرًا ، كان على المربي أن يتبين ثمراته اليانعة وما يتحصل عليه من فضائل وعطايا ومنح ".(حسن الشرقاوي ، 1985 ، ص160)، وأما الترهيب فهو لازم فى علاج السلوك المعوج حيث إنه " إذا لم تؤدب النفس انقادت إلى الأهواء وفسدت فى طبعها وأصبح الترهيب فى هذه الحالة ضرورة" .(حسن الشرقاوي ،نفس المرجع، ص159).

فالثواب والعقاب عبارة عن اسلوب واحد مكون من شقين ، لا يصح للمعلم التركيز على أحدهما وإهمال الآخر ، ففي حالة الإساءة يعاقب التلميذ ، وكذلك يثاب إذا صدر منه سلوك حسن ، فالموازنة مطلوبة بين الثواب والعقاب ، فلا يصح أن يتمادى المعلم فى العقاب ويهمل الثواب ، فإن ذلك يعد شكلا من أشكال المغالاة ، وليكن لجوء المربي للثواب قبل العقاب.

وواجب المعلم ازاء ما سبق ، أن يحسن استخدام كلٍّ من الثواب والعقاب بحكمة وحزم، حتى يستطيع السيطرة على صفّه ويجني أطيب الثمار ، أما إذا أساء استخدام الثواب والعقاب فى تربية النشئ ، فسوف تكون النتيجة عكسية دون شك (علي الشوبكي، 1977، ص78)

وفي الواقع إن هناك طبقة يحبذون الأخذ بفكرة العقاب البدني عند محاولة الإصلاح والتربية، ولكن جمهور المربين دعوا إلى عدم الأخذ بهذه الفكرة لاعتقادهم أن العقاب البدني يعتبر وسيلة احتقار للشخصية الإنسانية وإنزالها في غير منزلتها البشرية، وهو بالتالي لا يؤتي الثمار المرجوة والمأمولة منه، وهناك حقيقة لا يمكن إخفاؤها أو تجاهلها تقول: إن كلاً من الثواب والعقاب مؤديان إلى إحداث التعديل المرغوب في السلوك، لكن الثواب أبقى أثراً، حيث إن العقاب مرهون أثره بوجود مثير الخوف، فإذا مازال هذا المثير عاد السلوك إلى سيرته الأولى.(حمد عبد الله سلطان،

موقع) ومن الجدير بالذكر أن العقاب أداة واقعية في حياتنا ويلجأ إلى استخدامه الآباء والمعلمون في أوضاع تعليمية وسلوكية مختلفة ، ولكن ذلك لا يعني أن استخدام العقاب يُعد بديلاً عن التعزيز الإيجابي ، وبخاصة في حال توافر الفرص لاستخدام هذا النوع من التعزيز ، لذا ففي الأوضاع التي يكون استخدام العقاب أمراً لا مفر منه في مجال ضبط السلوك يفضل استخدام العقاب السلبي أي الحرمان من المعززات الإيجابية، فعلى سبيل المثال يعتبر حرمان الطفل من مشاهدة أفلام الرسوم المتحركة من أفضل العقوبات التي يمكن توقيعها عليه إذا كان مغرماً في هذه الأفلام ، فالعقاب يبلغ حده الأقصى من حيث الفاعلية عندما يرتبط بالتعزيز الإيجابي للأنماط السلوكية المرغوب فيها ، لأن الأداة الأساسية لتعديل السلوك تكمن في التعزيز الإيجابي وليس في العقاب، إن التعزيز الإيجابي للسلوك المرغوب فيه هو القاعدة أما عقاب السلوك غير المرغوب فهو الاستثناء .

وتكون مواجهة هذه الحاجات بالتوجيه والإرشاد وتقديم الخدمات المناسبة في البيت والمدرسة وكافة المؤسسات المعنية بذلك، سواء كانت خدمات إرشادية وقائية تهيئ الظروف المناسبة لتحقيق النمو السوي لهم ، مبنية على العلاقات الاجتماعية الإيجابية، أو خدمات إنمائية تنمي قدرات المراهقين وطاقاتهم وتحقق أقصى درجات التوافق، أو كانت خدمات علاجية تتعامل مع المشكلات الانفعالية والتربوية ومشكلات التوافق التي تواجه بعض المراهقين بتقديم الحلول العلاجية المناسبة وفق الأسس العلمية للتوجيه والإرشاد، ونستطيع كفاعلين في العملية التربوية أن نسهم في الكشف عن قدراتهم وهواياتهم وميولهم وتوجيهها مهنياً تبعاً للفروق الفردية، وغرس الاتجاهات الإيجابية والمفاهيم المجردة كالعدالة والفضيلة وتوظيف الأنشطة المختلفة لذلك وتوظيف ثقة المراهقين في بعض الأشخاص من الأقارب والمرشدين والمعلمين والمشرفين لتعزيز تلك الاتجاهات والمفاهيم.(محمد عبد الرحيم عدس ،2000، ص200 **).**

6- أسباب وجود ظاهرة العقاب البدني في مؤسساتنا التربوية:

لظاهرة العقاب البدني عدة أسباب تشمل جوانب متعددة من حياة الفرد والمجتمع، يعود بعضها إلى عوامل تاريخية، وبعضها الآخر إلى أسباب نفسية واجتماعية وثقافية، كما يؤول بعضها أيضا إلى طبيعة النظام التعليمي ببلادنا. وهي كلها أسباب – على اختلاف درجات تأثيرها- تعمل إذا اجتمعت على تفاقم ظاهرة العقاب البدني، وكلما ضعف تأثير بعض عناصرها، كلما لوحظ تقلص عنف العقاب وتدني حدته. نذكر من هذه الأسباب:

أ- الموروث التربوي: ونقصد به وجود جذور لظاهرة العقاب في تاريخ مجتمعنا البعيد والقريب، توارثتها أجيال بعد أجيال، فكثير من مفكرينا وفقهائنا المسلمين تعرضوا في مؤلفاتهم لهذه الظاهرة مثبتين وجودها، بل وتفشيها في مجتمعاتنا، ويتفقون على ضرورة تجنب العقاب البدني في التربية، لكنهم لا ينفون أهميته حين يكون معتدلا، بل منهم من يحدد عدد الضربات المسموح بها لكل مرحلة من مراحل الطفولة. (بوستا عزيز، مرجع سابق)

ب- تأثير التنشئة الاجتماعية في تكوين المربي والمدرس: تتميز أغلب الأوساط الأسرية في مجتمعنا بالخصائص الآتية: (طه عبد العظيم حسن، 2007، ص212)

1 - تمركز السلطة الأبوية، وعدم إتاحته لباقي أفراد الأسرة فرصة مناقشة أي قرار يتعلق بالأسرة، وخاصة منهم الأطفال الصغار.

2 - استعمال العقاب البدني في التربية الأسرية.

فمثل هذه التنشئة الاجتماعية، لا بد وأن تترك بصماتها في سلوك المدرس - الذي ترعرع فيها- أثناء قيامه بمهامه التعليمية التربوية.

ج- تأثير المدرسين السابقين على المدرسين الجدد: فهؤلاء يستمدون الكثير من التقنيات التعليمية من مدرسيهم القدامى عن وعي أو بدونه، مما يجعلهم في غالب الأحيان يُعيدون إنتاج نفس نمط التربية الذي تلقوه، لكن – لحسن الحظ- ما يجعل هذه النماذج لا تتكرر بنفس الحدة، هو خضوع المجتمع لحركية (ولو بطيئة) تتدخل فيها عناصر جديدة

تجعلها تتطور نحو الأفضل، نحو علاقات تربوية أقل سلطوية، من هذه العناصر: الاحتكاك الذي وقع لمجتمعنا مع حضارات مختلفة، وبداية اتساع الحريات الفردية والعامة في المجتمع.(محمد حسن العمايرة،2002، ص99)

د- التنافر الحاصل بين المؤسسة التربوية ووسائل الاتصال الحديثة: فحضارة الصورة التي نعيشها اليوم، وثورة المعلوميات، تجعل التلميذ منجذبا لمنتجاتها، مستسلما لمغرياتها، نظرا لما تقدمه له من تنشيط وحركية وصور جذابة وفرجة وتسلية، مما يجعل التلميذ ينغمس بكل جوارحه في تعامله معها (من هذه الوسائل: الألعاب الإلكترونية وبعض برامج الحاسوب والانترنيت، وبرامج القنوات الفضائية المختلفة)، وفي مقابل هذا العالم المليء بالحركة والتنشيط والمتعة، يجد التلميذ نفسه داخل المؤسسة التربوية أمام وسائل تعليمية بدائية غالبا ما تنحصر في السبورة والطباشير، وطرق تدريس عقيمة تعتمد على التلقين والحفظ والاستظهار...، مما يجعل التلميذ ينفر من هذه المؤسسات ولا يُقبل عليها إلاّ مُكرها، مما يفتح المجال واسعا لممارسة مختلف أشكال العنف والعقاب لإرغامه على "التكيف" مع هذا "العالم التربوي" الذي لا يلبي حاجياته ورغباته...، (السيد عبد الحميد عطية، 2004، ص129)

هـ- إكراهات تتحمل مسؤوليتها المنظومة التربوية ببلادنا: أذكر منها: (سعيدة صالحي،مرجع سابق،ص56)

1- اكتظاظ الأقسام بالتلاميذ (39 إلى 48 تلميذ) يساهم في خلق علاقات تربوية غير سليمة بين المربين أو المدرسين والتلاميذ، كما يعد أرضية خصبة لتفشي كل أشكال العنف بما فيها العقاب البدني واللفظي.

2- ضعف إمكانيات المؤسسة التربوية، وندرة الوسائل التعليمية المناسبة، يساهم في تكريس طرق تقليدية في التربية، مما يضطر المربين إلى اللجوء إلى بعض أشكال العقاب "لإرغام" الأطفال على مسايرة دروسهم ...، فالاستغناء عن العقاب البدني يتطلب من المدرس - بالإضافة إلى خبرته البيداغوجية- توفره على وسائل تعليمية حديثة.

3- إكراهات تتعلق بالبرامج التعليمية واستعمالات الزمن: فكثافة البرامج الدراسية وتنوعها، يجعل الكثير من المدرسين – تحت ضغط التوجيهات الرسمية- لا يفكرون إلا في تنفيذها في الآجال المحددة لها بغض النظر عن مدى تحقق أهدافها الموجهة لتربية الطفل وتنمية قدراته المختلفة.

4- إكراهات المراقبة التربوية والإدارية التي كثيرا ما تلحّ على الإنجاز الحرفي لكل أهداف الدرس المسطرة.

7- أهداف استخدام العقاب البدني فى المدرسة: تبين فيما سبق أن العقاب البدني ، إنما يكون فى مجال التأديب ، وفى إطار ذلك يمكن أن تتحدد الأهداف المرجوة من استخدامه ، على النحو الآتي:

أ -إصلاح المتعَلم: فالعقاب وسيلة لإصلاح المتعلم وعقوبة الضرب " إنما جازت للصَبي لِظنٍ أنها تفيد الإصلاح ، فإذا كان الضرر يتأّتى منها انتفت" (محمد فوزي الضنيل،1966، ص18)، ومن الملاحظ أن (الغزالي) حينما حثَ المعلم على ألَا يتردد فى توقيع العقوبة على الطفل اشترط أن يؤدي ذلك إلى اصلاح وتهذيبه (أبو حامد الغزالي، دس،ص70)، وقد اشترط(ابن جماعة) أن يكون الدافع للعقاب عند المربي هو الإصلاح. (بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة، 1354 ه، ص50).

وقد اّتفق علماء التربية المسلمون المعاصرون مع وجهة نظر القدامى فى أن الهدف من العقاب البدني يجب أن يكون الإصلاح وقد أشار بعضهم إلى آثاره الايجابية على المتعّلم(فالأهواني) أكد على أن العقوبة تترك ألمًا مباشرًا فى نفس المذنب ،ويرتدع عن إرتكاب الذنب.(أحمد الأهواني ،دس، ص150).

وذهب(علوان) إلى أن العقاب البدني ، وسيلة لزجر الولد وكّفه عن سوء الأخلاق ، بحيث يكوَن عنده من الحساسية والشعور ، ما يروُعه عن الاسترسال فى الشهوات وارتكاب المحرمات واقتراف الموبقات.(عبد الله ناصح علوان، 1985، ص733)

ب -المحافظة على النظام المدرسي: فالمدرسة عبارة عن مجتمع صغير ، له نظمه وتقاليده التى تتوجب توقيع العقاب على من يخالف هذه النظم بغض النظر عن نوع هذا العقاب حتى تتمكن المدرسة من فرض النظام وتأكيد سلطانها وأداء وظيفتها. (محمد ابراهيم كاظم،1959، ص30)

ج -حماية الآخرين فى المجتمع: فالله سبحانه وتعالى سن لعباده قانون العقوبات وهو أعلم بما سن لهم ، فالعقوبة تحقق الأمن للفرد والمجتمع ولذلك شُرعت الحدود والعقوبات الزاجرة ، التى هي وسيلة ناجعة لتطهير المجتمع من المفسدين (علوان، مرجع سابق،ص717-718)، وهكذا يكون استخدام العقاب البدني ، فى المدرسة وسيلة من وسائل الحماية للتلاميذ والمعلمين حينما يعتدى على أحدهم باللسان أو باليد.

ومن خلال ذلك ، يتضح أن للعقاب أهدافًا على مستوى الفرد والمجتمع وهذه الأهداف متكاملة ، ذلك أن صلاح الفرد يؤدي إلى صلاح المجتمع ، كما أن أمن المجتمع لا يتحقق إلا بحماية أفراده.

8- إشكالية الدراسة : فيعتبر النظام المدرسي هدفا رئساً للإدارة المدرسية وهو عملية تربوية تعتني بضبط سلوك الطلبة تحت قيادة موجهة ويتبع من التلاميذ أنفسهم ولا يفرض عليهم ويتحقق بوسائل مختلفة، ومؤسساتنا التربوية تشهد اليوم مجموعة من السلوكات التي قد تصل أحيانا آثارها إلى الجانب البدني والنفسي في آن واحد وقد تمس هذه الآثار طرفين أساسيين في العملية التعّلمية – التعليمية هما المعلمون (الأساتذة) والتلاميذ.

فتحاول هذه الدراسة رصد التصور الذي يحمله التلاميذ حول ظاهرة العقاب البدني في المدرسة، خاصة من خلال التطرق إلى المحاور الأساسية التالية :

- تصور التلاميذ للعقاب الموجه نحوهم داخل المؤسسات التربوية .
- أشكال هذا العقاب وأنواعه .
- معرفة نتائج العقاب على التلاميذ في المدرسة ودرجة الآثار التي يخلفها العقاب البدني عليهم (الجانب الجسمي والنفسي).

✓ **أهداف الدراسة:**

- رصد صور العقاب البدني لدى التلاميذ داخل المؤسسات التربوية.
- إلقاء الضوء على مظاهر وأشكال العقاب داخل المؤسسة التربوية.
- معرفة نتائج العقاب المسلط على التلاميذ في المدرسة، ودرجة الآثار النفسية والجسدية التي يخلفها العقاب البدني عليهم.

✓ **مجتمع الدراسة- العينة-:**

تمت الدراسة على تلاميذ إكمالية –غمري حسين – بسكرة ، حيث تم اختيار عشوائي لـ 80 تلميذ وتلميذة ، وزعت بالتساوي على مراحل السنوات الدراسية الأولى والثانية والثالثة والرابعة متوسط.

✓ **الأداة المستخدمة:** وزعت استمارة تحتوي على ثلاث محاور، ضمن 30 سؤالا .

✓ **نتائج الدراسة :** بينت نتائج الدراسة أن **60 %** من أفراد العينة تشكون من قسوة معاملة الإدارة داخل المؤسسة التربوية، من طرف الأساتذة بنسبة **41.66 %** ،و**33.33 %** من طرف المستشار العام للتربية ، و**20.83 %** و**4.16 %** طرف مستشارو التربية والمدير على التوالي، وان **60 %** من التلاميذ يروا ليس من الضروري أن يعاقب التلاميذ داخل الصف الدراسي، لأن **35 %** منهم يجدون ان العقاب أمر غير قانوني، و**25 %** يروا أن التلاميذ لايقصدون ارتكاب الخطأ، وأن التلاميذ اتوا للتعليم والدراسة بـ **18.75 %**، وأنهم ليسوا حيونات لكي يعاقبوا **12.5 %** ، وأن **70 %** من التلاميذ يروا أن العقاب البدني داخل المؤسسة التربوية ليس تطبيقا للقانون المدرسي، لأنه إجحافا في حقهم.

وتتجلى صور ومظاهر العقاب حسب أفراد العينة بأنه الضرب بأي أداة من طرف الهيئة التربوية بنسبة **66.25%** و**20 %** منهم يرجؤنه إلى القسوة والمعاملة السيئة ، و إهانة للتلميذ بـ**13.75 %**، ونسبة **75 %** من التلاميذ يلجأ حسبهم الأستاذ للعقاب البدني، وذلك عند انفعاله وغضبه لأتفه الأسباب **46.66 %** ، وانه لا يحاول للتقرب من التلاميذ **13.33 %**، و ان التلاميذ لا يحترمون الصف الدراسي **16.66 %**، و **10 %** منهم يرون ان الاستاذ يقوم بتأديب وتربية التلاميذ ،أما نسبة **55 %** منهم يشعرون بعدم إحترام أساتذتهم لأرائهم.

وبالنسبة للآثار التي يخلفها العقاب البدني على التلاميذ **60 %** منهم تعرضوا للعقاب البدني، بمعدل مرتين إلى ثلاث مرات **41.66 %** منهم، أما **66.66 %** من التلاميذ كانت الآثار نفسية عليهم تتجلى صورها بالإهانة والاحراج بنسبة **50 %** ، والتوبيخ والكلام القاسي بـ **30 %**، و**20 %** المساس بكرامتهم، أما الآثار الجسدية عليهم فكانت نسبة اجابتهم بـ **33.33 %**، تمثلت في الصفع والركلات **50 %**، وآثار الضرب **33.33 %** ، والتي تجسدت بالصفع باليد بنسبة **37.5 %** ، والضرب بالعصا **25 %**، وبأنبوب الغاز**20 %.**

ومن خلال هذه النتائج الميدانية نجد أن معظم النظم التربوية الحديثة ترفض أسلوب العقاب البدني وتحرمه التشريعات في كثير من دول العالم، ومن الضروري الجمع بين الثواب والعقاب فى التعليم المدرسي ، وأن يسبق العفو العقاب المدرسي ، فإن تشجيع الأولاد وحثهم على فعل الخير والإقدام عليه له عظيم الأثر وكبير النفع في صلاح الأولاد وعلوهم سواء كان هذا التحريض بكلمات التشجيع وعبارات الثناء أو بالأعطيات والهبات أو بزرع الثقة في الابن نفسه أو بغير ذلك مما يكون سبباً للدفع إلى الخير والحث عليه.

- ✓ **اقتراحات :** ولابد في نهاية هذه الدراسة من الأخذ ببعض الإجراءات والإقتراحات :
- ➢ إن العقوبة البدنية هي الوسيلة الأخيرة التي يلجأ إليها الأستاذ بعد نفاذ جميع الوسائل لا يعتبر العقاب وسيلة فعالة في عملية الإصلاح التربوي، لأنه يزيد الطالب عناده واستكباره وقد يخلف عنده عقدة نفسية من الأستاذ، و لكن هناك الطرق الأخرى لعملية الإصلاح التربوي فتقوم على النصح والإرشاد والتوجيه الصحيح نحو السلوك المرغوب فيه.
- ➢ يجب أن يكون العقاب متناسباً مع الذنب في كميته ونوعه، وأن يلزم التلميذ بتصليح الموقف، مثلاً إذا كسر الطفل شيئاً عليه هو أن يصلح الوضع، مثلاً أن يجمع الزجاج الذي كسره، وأن يدفع ثمنه من مصروفه، وإخبار ولي امره .
- ➢ يجب الابتعاد ما أمكن من لغة التهديد والوعيد فهو إما أن يؤدي إلى خوف كبير وهلع، وإما أن يعرف الطفل أن هناك تهديداً بدون صنع شيء فيبدأ في عدم المبالاة.
- ➢ يجب ألا تتحول العقوبة إلى إهانة للطفل وإهدار لكرامته.
- ➢ يجب عند العقاب بالضرب إذا اقتدى الأمرالابتعاد عن الأماكن الحساسة لدى الطفل والخطرة والمؤذية كأن يضربه في وجهه أو رأسه أو الصدر، اتباعاً لقول الرسول ص «ولا تضرب الوجه».
- ➢ ألا يضرب الطفل بأداة مؤذية قد تؤدي إلى إلحاق الضرر الشديد به.
- ➢ علة الأستاذ الخصم من درجات الطالب المشاغب، لفترة مؤقتة، وإشعاره أن أهمية التربية والأخلاق تأتي في الدرجة الاولى قبل الحفظ والاستظهار.

الخاتمة : قد يظن بعض الأهالي والمعلمون أن الضرب حقق لهم فائدة لكن الواقع أن الطفل يتصرف أمامهم في حدود المقبول، ولكنه في المحيط الآخر يسلك السلوك الرديء نفسه، وبذلك يكون الضرب علم الطفل كيف يخفي سلوكه غير المرغوب فيه أو يؤجله، ولم يخلصه منه.

فالعقاب ليس وسيلة التربية المجدية، فإنه قد يؤدي إلى كف الطفل عن العمل المعيب لكنه لن يؤدي إلى حبه للخير المطلوب، ومن ثم فسيعاود إلى ما منع عنه لإثبات ذاته ولإغضاب الآخرين، ولكن لو شعر واستحسن عمله في المحافظة على أدوات غيره وأدائها له فإن احترام حقوق الآخرين يصبح له عادة يعملها بسرور.(فالترغيب أفضل من الترهيب والاعتدال هو الميزان). إن الثواب يتيح للطفل تقوية ثقته بنفسه ويشعره بعمله الحسن، وأنه قادر على الاتقان والنجاح، فالثواب وبلا أدنى شك وسيلة من وسائل التشجيع والدعم ورفع المعنويات، مما ينعكس أثره في زيادة ونماء المواهب الإيجابية لدى الأطفال وتأصيلها وتعويدهم على الابتكار والتعبير عن الذات، وبالتالي التفوق والمشاركة الإيجابية داخل المدرسة وخارجها، وهذا ما يعزز أهمية مبدأ الثواب وأنه النهج السليم والتربوي الذي يجب السير عليه لرفع معنويات التلاميذ ودعمهم في مختلف المراحل والمستويات.

لعل أهم ما يمكن استخلاصه من كل ما سبق، هو أن للعقاب البدني العنيف عواقب خطيرة على نمو الطفل وتكوين شخصيته، وإن كان لا بد لنا كراشدين (مربين أو مدرسين أو آباء وأمهات) من تقويم أي انحراف في سلوك أطفالنا، فليكن ذلك بأساليب تربوية تحفظ كرامتهم وتصون حقوقهم، وتهيئهم لتحمل المسؤوليات الجسيمة التي تنتظرهم في بناء عالم الغد المفعم بالتحديات.

قائمة المراجع :

1. أبو حامد الغزالي، تحقيق بدوي طبانة ، دار إحياء الكتب العربية ، ج3 .
2. أحمد الأهواني ،التربية فى الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة .
3. احمد منير مرسي، المعلم والنظام، المكتبة الحديث، القاهرة، دس.
4. السيد عبد الحميد عطية، محمد محمود مهدلي، الاتصال الاجتماعي، د ط، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، 2004.
5. بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتّعلم، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1354 ه.
6. جلال كايد ضمرة، عريب أبو عميرة، تعديل السلوك، دار الصفا، للنشر والتوزيع، عمان، ط1،2007.
7. حسن الشرقاوي ،الأخلاق الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،1985 .
8. حمد عبد الله سلطان مقال " التربية بالثواب والعقاب" ،على الموقع: www.bab.com.
9. زايد عجير الحارثي، اتجاهات المعلمين وأولياء الأمور في مدينة مكة المكرمة نحو العقاب البدني في المدارس وعلاقتها ببعض المتغيرات المستقلة، حولية كلية التربية، جامعة قطر،المجلد2، العدد1 ،1991.
10. سعيدة صالحي، العقاب وأثره على الدافعية للإنجاز لدى التلاميذ السنة الخامسة ابتدائي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر،2003.
11. سهيلة كاظم الفتلاوي، تعديل السلوك في التدريس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2005.
12. طه عبد العظيم حسن، سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، د ط، الجامعية الجديدة، الإسكندرية 2007.
13. عبد الراضي ابراهيم، موقف طلاب التربية من استخدام العقوبة البدنية في حفظ نظام الفصل، دراسات تربوية، المجلد3، الجزء 14،1988.
14. عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام ، ط 8 ، ج2، 1985 .
15. عبد المنعم بني عواد، اتجاهات أولياء أمور الطلبة نحو العقاب وممارسته في المدارس الاردنية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، الاردن،1994.

16. عزيز بوستّـــا، مقال" ظاهرة العقاب البدني واللفظي في التربية" ،على الموقع:www.tadriss.jeeran.com .
17. علي الشوبكي ، المدرسة والتربية وإدارة الصفوف ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،1977 .
18. عمر عبد الرحيم نصر الله، تدني مستوى التحصيل والانجاز المدرسي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004.
19. فاروق الروسان، تعديل وبناء السلوك الانساني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ط2000،1.
20. محمد ابراهيم كاظم ،العقوبات المدرسية ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، 1959 .
21. محمد بن حمودة، الادارة المدرسية في مواجهة المشكلات التربوية، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر ،2008 .
22. محمد حسن العمايرة، المشكلات السلوكية، دار المسيرة، للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2002.
23. محمد حسن العمايرة، المشكلات الصفية، السلوكية، التعليمية، الاكادمية، دار المسـيرة للنشـر والتوزيـع والطباعـة، عمان،ط1، 2002.
24. محمد عبد الرحيم عدس، تربية المراهقين،ط1،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان،2000.
25. محمد عبد اللطيف العتيق مقال على الموقع: www.al-jazirah.com.
26. محمد فوزي الضنيل، التربية عند العرب-مظاهرها واتجاهاتها، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1966
27. محمد مصطفى أبو عليا، العقاب كما يراه المعلمون والطلبة في مدارس وكالة الغوث الدولية، البلقاء ،المجلد2، العدد 1، 1992.
28. محمد وليد البطش، الاتجاهات نحو العقاب البدني وممارسته في المدرسة الاردنية، مجلة دراسات، المجلد18(أ) العدد2 ، 1991.
29. Biehler, R.F. & Snowman, J.(1986) Psychology Applied to Teaching. Boston : Houghton Mifflin Company .
30. Feldman, R.S. Understanding Psychology. New York: McGraw Hill.1996 .
31. Vockell, E.L. (1991) Corporal Punishment: The Pros and Cons. Clearing House 75% 64, No.,4